خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم 2014/04/18

في مسجد بيت الفتوح بلندن

%%%%%

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. [بسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحيم* الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صِرَاط الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْر الْمَغْضُوب عَلَيْهمْ وَلا الضَّالِّينَ]، آمين.

سوف أقرأ على مسامعكم أقوالاً لسيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام تحدث فيها عن الله تعالى وعن عظمته وأنه تعالى يملك القدرة كلها، وأنه وحده لا شريك له، وأنه خالق كل شيء، وأن كل شيء فانٍ إلا هو. كما صرح عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الوسيلة الوحيدة الآن للوصول إلى الله، ومن المحال الآن أن يصل أحد إلى الله تعالى بدون اتباع النبي صلى الله عليه وسلم. كما بين أن لا مثيل ولا ندّ لله تعالى في الحسن والإحسان، وأنه لا بد للإنسان من أجل رؤية قدرة الله تعالى مِن أن ينيب إليه مخلصا له الدين. لا بد له أن يخضع إلى الله بصدق ويعبده بإخلاص، ولو فعل ذلك أتى الله إليه سعيًا وضمّه إلى صدره وأمطر عليه أفضاله.

لقد نصح المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام بكل لوعة وحرقة وقال: أنشِئوا مع الله صلتكم لكي تكونوا من الفائزين في الدنيا والآخرة.

لقد بين عليه السلام في أحد كتبه مَن هو الله، وما هي صفات ذلك الإله الذي هو مالك الأكوان كلها والذي يدعو إليه الإسلام، فقال:

"الله نور السماء والأرض، أي النور الذي يُرى في كل مرتفع ومنخفض، سواء أكان في الأرواح أو في الأجساد، وسواء أكان ذاتيا أم عرضيا، وسواء أكان ظاهريا أم باطنيا، ذهنيا أم خارجيا؛ كله من عطاء فضله Y. *(أي كل نور يأتي من عند الله، وهو النور الذي يتراءى في الأجسام، أي في الميزات الذاتية التي توجد في الناس. هناك ميزات وهبها الله تعالى لبعض الناس، منها ميزات ظاهرية ومنها باطنية والميزات الذهنية أو الخارجية التي تتراءى خارج الإنسان. فكل جمال يلاحَظ في شيء إنما هو بسبب نور الله تعالى)* وفي ذلك إشارة إلى أن فيض الله رب العالمين العامّ يحيط بكل شيء، ولا يخلو من فيضه شيء.

كل ما يوجد في العالم من الأشياء، وما يلاحَظ فيه من الجمال وحيثما يُرى الحسن والجمال، وما ينفع الإنسان فكل هذه الأشياء إنما هي بسبب فيض الله العام، ولا يخلو كيان من فيضه، أيا كان)

هو مصدر كل فيض، وعلة العلل لكل نور، ومنبع كل رحمة. *(منه Y ينبع كل نوع من الفيض، وهو مصدر كل نور، ومنه تتفجر ينابيع الرحمة)* إن ذاته الحق قيومُ العالم كلّه وملاذُ كل كبير وصغير. *(أي كلُّ شيء قائم بسببه، وإليه يرجع كل ما يحدث من الكسر والتمزيق وما يحدث من التغيرات)* هو الذي أخرج كل شيء من ظلمة العدم وخلَع عليه خِلعة الوجود. ليس من دونه وجود أزلي، وواجب الوجود في حد ذاته. *(أي لا يستحق شيء أن يُعتبر أزليا بحد ذاته، أو أنه ليس مستفيضا منه Y)*، بل الأرض والسماوات والإنس والدواب والحجر والشجر والأرواح والأجساد كلها موجودة وقائمة ببركة وجوده.

(أي أن عالمنا هذا، وهذه السماوات والأرض وما فيها من إنسان وحيوان وحجر وشجر وروح وجسد إنما وجدت بفضل الفيض الإلهي)

ثم إن المسيح الموعود عليه السلام وضّح أكثر أنّ الله تعالى "وحده لا شريك له" فقال:

الشراكة عقلا أربعة أنواع حصرا: الشراكة في العدد، أو في المرتبة، أو في النَّسَب أو في الفعل والتأثير. وفي هذه السورة *(أي سورة الإخلاص)* قد بين الله تعالى أنه منزه عن الشراكة بأنواعها الأربعة كلها، وقال بصراحة تامة إنه تعالى أحدٌ من حيث العدد إذ ليس معه إلهان أو ثلاثة، وأنه تعالى "الصمد"، أي أنه وحيد فريد من حيث كونه واجب الوجود وليس محتاجا إلى أحد، وكلّ ما سواه إنما هو ممكن الوجود وهالك الذات ومحتاج إليه I في كل حين وآن، وأنه تعالى: [لم يلِدْ]، أي ليس لله ابن حتى يكون شريكا له لأنه ابنه، وأنه تعالى: [لَمْ يولَد]، أي ليس له أبٌ حتى يكون شريكا له لأنه أبوه. وأنه تعالى: [لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا]، أي ليس هناك كفوٌ ومماثل في أفعاله تعالى حتى يُعدَّ شريكا له من حيث الفعل. فبذلك قد صرّح الله تعالى أنه بريء ومنزَّه عن الشراكة بأنواعها الأربعة كلها، وأنه أحد لا شريك له. (البراهين الأحمدية)

لقد بين حضرته عليه الصلاة والسلام هنا أن الشراكة ليست إلا أربعة أنواع فقط عند العقل، أوّلها: أن يكون للواحد شريك من حيث العدد، كأن يكون معه الثاني والثالث والرابع والخامس مثلا، وثانيها: أن يكون له شريك من حيث المرتبة والدرجة، وثالثها: أن يكون له شريك من حيث النَّسب والقبيلة، ورابعها: أن يكون له شريك من حيث قدرته وفعله وتأثيره، والله تعالى منزه عن الشريك من هذه الأنواع الأربعة كلها، حيث صرح الله تعالى هنا أولا وقال: (الله أحد)، أي أنه تعالى وحيد عدداً، وليس معه ثان ولا ثالث ولا رابع، ثم قال تعالى إنه: "الصمد"، أي هو الذي يحتاج إليه الخلق كله كل حين، وكلما احتاج إليه شيء ذهب إليه، ولبى حاجته وسدّ ضرورته، ويجب أن يفعل ذلك ويسد حاجته، أو هو الأحق بذلك، ولا أحد سواه يقدر مثله على سد حاجات الآخرين. لماذا لا يوجد له مثيل في سد حاجات المحتاجين؟ لقد بين عليه السلام ذلك فقال إن سببه أن الله تعالى أحدٌ منذ الأزل وسيظل أحدًا إلى أبد الآبدين، ثم إن كل شيء فانٍ وهالك بعد مدة، أي كل مخلوق عرضة لأنْ يُخلَق ويفنى، ولكن الله موجود منذ الأزل وباق إلى الأبد، فالمخلوقات الأخرى مؤقتة لكونها مخلوقة ومعرضة للفناء، وما هو مؤقت عابر فلا يقدر على أن يهيئ جميع أسباب الحاجات لا لنفسه ولا لغيره، والذي هو غير قادر على أن يهيئ الأسباب كلها، فهو بحاجة إلى الإله

الذي هو موجود منذ الأزل وباق إلى الأبد، والذي قد أعلن عن نفسه: أنا الله الذي قد هيأتُ الأسباب كلها لبقاء مخلوقاتي، وبالتالي هو الأجدر والأَولى بأن يُعتمد عليه، ويجب أن يعتمد عليه. هذا هو المعنى المفصل للصمد.

ثم تحدث الله تعالى عن الشراكة في النسب فقال: (لم يلد ولم يولد)، أي ليس له ولد ولا أب، بل هو أسمى من أي نسب، وبالتالي فمن المحال أن يكون له شريك. ثم ذكر صفة رابعة لله تعالى وقال (ولم يكن له كفوا أحد)، أي ليس له ند ولا مثيل في أفعاله، فما دام ليس له ند يأتي بمثل أفعاله ويرتب النتائج والتأثيرات على الأعمال، فكيف يكون له شريك. إن الماديين يرون نتائج أعمالهم ويقولون بكل تباهٍ وتفاخر بأننا قد فعلنا كذا وأنجزنا كذا، والحق أنهم لا يقدرون على أن يأتوا بنتائج أعمالهم بقدرتهم، إنما ينال المرء جزاء عمله وجهوده طبقًا لهذا الناموس الإلهي، إذ ليست هذه النتائج إلا فيضان ربوبية ورحمانية الله الذي هو رب ورحمن. فيا لشقاوة الناس فإن أكثرهم يبتعدون عن ربهم تعالى بدلاً من أن ينيبوا إليه ويقتربوا منه برؤية إحساناته ومِننه.

ثم زاد المسيح الموعود u هذه السورة شرحا في كتابه "محاضرة لاهور" في بيان وحدانية الله تعالى وكونه يملك القدرات كلها فقال:

"ثم يقول الله ربُّنا في القرآن الكريم عن صفاته الحسنى: [قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ]. أي إن إلهكم وحيد وفريد في ذاته وصفاته، ليس كمثله ذات فريدة أو أزلية وأبدية. لا تماثل صفاتُ أيّ شيء صفاتِه. إن الإنسان بحاجة إلى معلِّم ومع ذلك يبقى علمه محدودًا، أما هو I فغني عن أيّ معلِّم، ومع ذلك فإن علمه غير محدود. إن حاسة سمع الإنسان بحاجة إلى الهواء *(أي لا نستطيع أن نسمع بدون الهواء)* ومع ذلك تكون محدودة، أما سمع الله تعالى فهو بقوته الذاتية، ولا تحده حدود. إن رؤية الإنسان بحاجة إلى الشمس أو إلى ضوء من مصدر آخر ومع ذلك تبقى محدودة، أما رؤية الله تعالى فمصدرها نوره الذاتي وهي غير محدودة *(أي نستطيع أن نرى إلى درجة معينة فقط)*. كذلك إن قدرة الإنسان على الخلق بحاجة إلى مادة ووقتٍ ومع ذلك تكون محدودة، ولكن قدرة الله على الخلق ليست بحاجة إلى مادة أو وقت وهي غير محدودة. ولما كانت جميع صفاته I لا مثيل لها ولا نظير، كذلك ليس له I نظير أو مثيل. فلو وُجد النقص في إحدى صفاته لكانت جميع صفاته ناقصة، فلا تستقيم وحدانيته ما لم يكن وحيدا فريدا لا نظير أو مثيل له بصفاته، كما لا نظير ولا مثيل له بذاته.

وبالإضافة إلى ذلك تعني الآية أيضا أنه I ليس ولدا لأحد وليس له ولد؛ لأنه غني في حد ذاته، فليس بحاجة إلى أب ولا إلى ولد. هذا هو التوحيد الذي علّمه القرآن الكريم وهو مدار الإيمان."

ثم يقدم u دليلا عقليا على وحدانية الله مستنبطا مما ورد في القرآن الكريم، فيقول:

"ثم دلَّل الله عقلا على أنه واحد لا شريك له فقال تعالى: [لَو كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا] وقال تعالى أيضا: [وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ.. إلخ] أي لو كان في الأرض والسماء إله سوى الله الجامع للصفات الكاملة لفسدتا، لأنه كان من المحتّم أن تعمل تلك المجموعة من الآلهة عملا يخالف فيه بعضها بعضا في حين من الأحيان، فيتطرق الفساد إلى العالم بسبب هذه الفُرقة والخلاف والفساد. وكذلك لو كان هناك أكثر من خالق لأراد كل واحد منهم خيرا

لخلقه هو، ولأجاز هلاك المخلوقات الأخرى لصالح خلقه هو. ولكان من شأن هذا العمل أيضا أن يؤدي إلى فساد العالم."

إذًا، لا مجال ليكون هناك أكثر من إله. كذلك ذُكرت صفات الله في القرآن الكريم وقد شرحها المسيح الموعود υ بإيجاز وقال:

"هذا وينبغي أن تعلموا أيضا أن الإله الذي دعانا إليه القرآن الكريم قد ذكره بهذه الصفات بقوله: [هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ] (الحشر: 23)،

وقوله تعالى: [مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ] (الفاتحة: 4)،

وقوله تعالى: [الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبّارُ الْمُتَكَبِّرُ] (الحشر: 24)،

وقوله تعالى: [هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ] (الحشر: 25)،

وقوله تعالى: [عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] (البقرة: 149)،

وقوله تعالى: [رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ] (الفاتحة: 3-5)،

وقوله تعالى: [أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ] (البقرة: 187)،

وقوله تعالى: [هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ] (آل عمران: 3)،

وقوله تعالى: [قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ] (سورة الإخلاص)

.. أي أن الله هو الإله الأحد، الذي ليس له شريك يستحق العبادةَ والطاعة. ذلك لأنه لو كان معه إله شريك لجاز أن يغلبه الإله الشريك بسلطته، وبالتالي تتعرض ألوهيته للخطر. وقوله بأنْ لا أحد يستحق العبادة سواه يعني أنه إله كامل ذو محامد كاملة ومحاسن عالية وكمالات سامية.. بحيث لو أردنا أن نختار معبودا من بين جميع الموجودات نظرا إلى كمال الصفات، أو تصورنا غايةَ ما نستطيع تصورَه من صفاتٍ أعظم وأعلى لمعبود، لكان الأعلى بين الجميع.. الذي لا يوجد أعلى منه مطلقا.. هو الله.. الذي من الظلم أن يُشرِكَ في عبادته مَن هو دونه. *(أي مهما فكّر الإنسان فسيجد أن الله هو مالك الصفات العليا على الإطلاق ولا يمكن أن يُشرَك به أحد)*

ثم قال إنه "عَالِمُ الْغَيْبِ"، أي أنه هو نفسه يعلم ذاته، ولا يقدر غيره أن يحيط ويدرك ذاته. نستطيع أن نرى صورة الشمس والقمر وكل مخلوق، إلا أننا عاجزون عن رؤية ذات الله تعالى. *(نستطيع أن نرى كل شيء ولكن لا يمكن أن نرى الله تعالى)*

ثم قال "والشهادةِ"، يعني أنه لا شيء مستتر عن نظره. لا يجوز أن يسمى إلها مَن يبقى في غفلة عن علم المخلوقات. كلا، إن كل ذرة من العالم تحت بصره، وأما الإنسان فلا يستطيع ذلك. إنه تعالى يعلم متى يُفني هذا النظام ومتى يقيم القيامةَ، ولا أحد سواه يعلم متى يكون هذا.. فالذي يعلم جميعَ هذه المواعيد هو الله تعالى.

وقوله "هُوَ الرَّحْمَنُ" يعني أنه هو الذي يُهيئ لذوات الحياة كل ما تحتاج إليه من أسباب المعيشة والراحة حتى قبل وجودها. كل ذلك بفضلٍ بحت منه، وليس نتيجةً لأعمالها وسعيها. فإنه سبحانه خلَق لأجلنا الشمس والأرض وغيرهما من المخلوقات حتى قبل وجودنا ووجود أعمالنا. وهذا العطاء يسمى في كتاب الله "الرحمانية"، ونظرًا إلى هذا الصنيع يُدعى الله بـ"الرحمن". *(أي هيأ لنا سلفا برحمانيته كل ما كنا بحاجة إليه)*

وقولُه "الرَّحِيمُ" يعني أنه يجزي على الأعمال الصالحة خيرا، ولا يضيع عمل عامل. وباعتبار هذه الصفة يُدعَى الله بـ "الرحيم"، وصفته هذه تسمى "الرحيمية". وقولُه "مالِكِ يومِ الدينِ" يعني أنه جعل في يده جزاءَ كل واحد، وليس له من وكيل فوَّض إليه تدبيرَ ملك السماوات والأرض، وقعد بنفسه جانبا لا يفعل شيئا، بينما يقوم أو سيقوم وكيله بمهمة المجازاة والعقاب. *(أي هو ليس بحاجة إلى مساعد لإنجاز أعماله بل بيده القدرة كلها)*.

ثم قال "المِلِكُ القُدّوسُ" أي أنه صاحب السلطان الذي ليس فيه وصمة عيب. الواضح أن مُلك البشر لا يخلو من نقص، فمثلا لو هاجرت الرعية كلها من دولة ملِكٍ إلى دولة أخرى لضاع مُلكه؛ أو لو حل القحط والمجاعة بالرعية كلها، فمن أين تُجبى الأموال؟ *(أي من أين ستأتي الضريبة التي تؤخذ من الرعية)* أو إذا قامت الرعية تجادل الملِك قائلة: بأي ميزة صرتَ ملكًا علينا.. فماذا عساه يقول ردا على ذلك؟ *(أي إذا قامت الرعية في وجهه ماذا عسى أن يفعل. هذا ما ترونه حادثا في العالم من الفتنة والفساد والحرب بين الرعية والحكومات)* ولكن سُلطان الله ليس كهذا. إنه قادر على أن يُهلك الجميعَ في لمح البصر ويأتي بخلق آخر جديد. ولو لم يكن خلاقا وقديرا هكذا لَما قام حكمه إلا بظلم. وإلا فمن أين يأتي بخَلقٍ جديد إلى الدنيا ليمارس عليهم سلطانه.. بعد أن يكون قد شمل جميعَ خلقه الأولين بالعفو والنجاة؟ فهل يسترد – ظلمًا وتعسفا – من عباده الناجين النعمَ التي أعطاهم إياها، ويسلبهم المغفرةَ التي تفضَّل بها عليهم، لكي يزجّ بهم مرة أخرى في الحياة الدنيا ليعمرها ويحكمها. ستكون ألوهيته في هذه الحالة معيبة، ويصير مُلكه ناقصا شأنَ ملوك الدنيا الذين لا يبرحون يسنّون لرعيتهم قوانين جديدة، ويستبدّ بهم الغضب على كل صغيرة وكبيرة، وعندما لا يجدون بدًّا من الظلم –قضاءً لمآربهم– يستسيغون الظلم والجور كما يستسيغ الرضيع لبنَ أمه. *(أي عندما لا يرون مندوحة من الظلم، يستسيغون الظلم كحليب أمهاتهم. ومثاله الظلم الذي يصُبُّه رؤساء البلاد على رعيتهم في هذه الأيام)* فمثلا يجيز القانون الملكي إغراقَ ركاب سفينة صغيرة إنقاذا لسفينة كبيرة، ولكن الواجبَ ألا يُضطرَّ الإله القدير هذا الاضطرار. فلو لم يكن الإله كاملا في قدرته، خَلّاقًا من عدمٍ محض، للجأ –بدلاً من إظهار قدرته – إلى الظلم كالملوك الضعفاء، أو لَتَخلّى عن ألوهيته مراعاةً للعدل. كلا، إن سفينة الله سائرة مع كل قدرة وفي عدل كامل.

وقوله "السَّلامُ" يعني أنه منزه عن جميع العيوب، سالم من كل المصائب والمشقّات، بل إنه مانح السلام للآخرين. وهذا بديهي، لأنه لو كان بنفسه عُرضةً للنوائب وللضرب بأيدي الناس، وللفشل في إرادته فكيف تطمئن قلوبنا – برؤية سوء حاله هذا– بقدرةِ مثل هذا الإله على تخليصنا من الآلام؟ ولأجل ذلك يقول تعالى في الآلهة الباطلة: [إنَّ

الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ] (الحج: 74-75)

وقوله تعالى: "ضَعُفَ الطَّالِبُ والمطْلوبُ" يعني أن عابدي هذه الآلهة ضعافُ العقول. أما الآلهة نفسها فهي ضعيفة القوة والحيلة. فهل يمكن لمثل هؤلاء أن يكونوا آلهة حقيقيين؟ إنما الإله مَن يكون أقوى من كل قوي وغالبا على الجميع. لا أحد يقدر على القبض عليه أو على ضربه. إن الذين يقعون في أعمال خاطئة كهذه لا يعرفون عظمة الله تعالى، ولا يدركون ما هي الصفات الواجبة للإله.

أما قوله "المؤْمِنُ" فيعني أنه واهب الأمان، والذي يقيم الدلائل على توحيده وكمالاته. وفي هذا إشارة إلى أن المؤمن بالإله الحق لا يُخزى أبدا أمام مجلس من المجالس، كما لن يخجل أمام ربه، ذلك لأن معه أقوى البراهين. أما عابد الإله الباطل فهو دائما في مشكلة كبيرة، وبدلا من بيان الأدلة يسوق كل لاغية واهية مدعيا أنها من الأسرار الغامضة، هروبا من خزي الاستهزاء، وإخفاءً لأخطاء تأكد زيفُها.

وقال تعالى: "الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ".. أي أنه الحافظ للجميع، الغالب عليهم، المصلح لما خرب وفسد، المستغني كل الاستغناء.

وقال: "الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى".. أي أنه خالق الأرواح كما أنه خالق الأجسام، وأنه المصور في الأرحام، وأنه صاحب جميع الأسماء الحسنى التي يمكن أن تُتصور.

وقال: "يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ".. أي أن سكان السماوات يذكرون اسمه بالتسبيح والتقديس كما يذكره سكان الأرض. *(أي يمكن أن تكون في عالم آخر أيضا كواكب مأهولة، بل هي موجودة)* وفي هذه الآية إشارة إلى أن الأجرام السماوية أيضا عامرة بسكان ملتزمين بتعاليم الله تعالى.

وفي قوله تعالى: " عَلَى كُل شَيْءٍ قَدِيرٌ" سُلوانٌ للعابدين.. إذ ما الفائدة أن نعقد عليه أملا ورجاءً إذا كان عاجزا غير قادر؟

وقوله تعالى: "رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرحْمَنِ الرحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدينِ" يعني أنه هو الإله الذي يقوم بتربية كل العوالم. وأنه رحمن رحيم وهو بنفسه مالك يوم الدين، ولم يجعل هذه السلطة في يد أحد غيره.

وقوله تعالى: "أُجِيبُ دَعْوَةَ الداعِ إِذَا دَعَانِ".. يعني أنه يسمع دعاءَ كل داعٍ يستجيب لدعائه؛ أي أنه مستجيب الدعوات.

وقوله تعالى: "هُوَ الْحَيُّ الْقَيّومُ".. يعني أنه الباقي للأبد، وأنه حياةُ جميع الأحياء وقوامُ الموجودات كلها. إذ لولا أنه الأزلي الأبدي لكنا دائما أبدا في قلق ووَجَل من موته قبل موتنا.

وقوله تعالى: [قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ * اللهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ].. يعني أنه وحده إله، وليس بوالدٍ لأحد، ولا مولود لأحد، ولا نظير له ولا أحد من جنسه."

ثم يقول المسيح الموعود u:

اعلموا أن الهدف الحقيقي من وراء كافة أحكام الإسلام هو أن يصل الإنسان إلى الحقيقة الكامنة في لفظ "الإسلام". فمن هذا المنطلق قد وردت في القرآن الكريم تعاليم تهدف إلى تحبيب الله إلى النفوس، فحينا تُري الإنسان حسنه وجماله Y، وحينا آخر تذكِّره بإحساناته؛ لأن حب أحد إنما يترسّخ في القلب إما نتيجة حسنه أو بواسطة إحسانه. فقد ورد أن الله تعالى واحد لا شريك له من حيث صفاته الحسنة ولا عيب فيه، هو جامع لجميع الصفات الكاملة ومظهر لجميع القدرات المقدسة. *(أي أن جميع الصفات الكاملة مجتمعة فيه، ومنه تظهر كل قدرة حسنة)* هو مبدأ المخلوقات كلها، ومنبع جميع الفيوض، ومالك يوم الدين، ومرجع جميع الأمور. *(أي هو خالق كل شيء، ومنه تُنال الفيوض كلها، وإليه تعود الأعمال والأفعال كلها)* إنه قريب مع كونه بعيدا، وهو بعيد مع كونه قريبا. هو فوق كل شيء ولكن لا يمكن القول بأن هناك مَن تحته. *(أي هو قريب جدا)* هو أخفى من كل شيء ومع ذلك لا يمكن القول بأن هناك شيئا أكثر ظهورا منه. هو حيٌّ بحد ذاته وكل شيء حيٌّ بسببه هو. *(الحيّ معناه الذي هو حيّ بنفسه وسبب لحياة الآخرين)* إنه قائم بذاته وكل شيء آخر قائم به. إنه حاملُ كلِّ شيءٍ ولا شيء يحمله. *(أي كل شيء يعتمد عليه)* لا يوجد شيء خُلِق من تلقاء نفسه وبدونه Y، أو يمكن أن يحيا بغيره I. هو محيط بكل شيء ولكن لا يمكننا معرفة ماهية هذه الإحاطة. هو نور السماء والأرض وما فيهما، وكل نور يلمع بقوة فهو من نوره I وظلٌ لنوره. وهو رب العالمين، فما من نفس منفوسة لا تستفيد من ربوبيته، ولا هي قائمة بحد ذاتها. ما من قوة في روح من الأرواح لم تُحرَز منه I أو أُحرزَت من نفسها.

إن رحمته I نوعان: الرحمة الأولى هي تلك التي لم يسبقها عمل عامل بل هي موجودة منذ الأزل ومثَلُها الأرض والسماء والشمس والقمر والنجوم، والماء والنار والهواء وكافة ذرات هذا العالم التي خُلقت وسُخِّرت لتريحنا. كذلك فإن كل ما كنا بحاجة إليه قد هُيِّئ لنا، وذلك قبل وجودنا وقيامنا بأي عمل. هل لأحد أن يقول بأن الشمس قد خُلقت نتيجة أعمالي؟ أو خُلقت الأرض بسبب أعمالي الصالحة؟

فإن هذه من رحمة الله I، وكلها قد ظهرت قبل خلق الإنسان وأعماله، وليست نتيجة عمل أي شخص.

والنوع الثاني من الرحمة هي التي تترتب على الأعمال". أي إذا كسبتم الأعمال الصالحة سيجزيكم الله عليها.

ثم يقول المسيح الموعود أن هناك طريقا وحيدا في هذا العصر للوصول إلى الله تعالى وهو شخص رسول الله ρ، فيقول υ في شرح هذا الأمر:

" إن أرواحنا وكل ذرة من كياننا تسجد لذلك الإله القادر والصادق والكامل الذي بيده خُلقت كل روح وكل ذرة من المخلوقات مع كل قواها، والذي بوجوده يقوم كل وجود. لا يخرج شيء عن علمه ولا عن سيطرته ولا عن دائرة خَلقه. وآلاف الصلوات والرحمات والبركات على النبي الطاهر محمد المصطفى ρ الذي بواسطته وجدنا الإله الحي الذي يهبنا آيات وجوده بكلامه، وبإظهاره آيات تفوق العادة يُرينا وجها منيرا لقدراته وقواه القديمة والكاملة. فقد وجدنا رسولا أرانا وجه الله تعالى، ووجدنا إلهًا خلق كل شيء بقدرته الكاملة. ما أعظم قدرته التي لا يخرج شيء إلى

الوجود بدونها، ولا بقاء لأيّ شيء بغيرها. إن إلهنا الحق ذو بركات كثيرة وقدرات عظيمة وذو حسن وإحسان عظيم ولا إله سواه."

ثم يقول المسيح الموعود υ عن الذين لا يؤمنون بالله تعالى:

"إن ذات الإله الحق هي غيب الغيب ووراء الوراء وعلى غاية من الخفاء، ولا يمكن أن تدركه العقول الإنسانية بمجرد قوتها. *(أي أنه ذات خفية فلا يمكن العثور عليه بالعقل فقط، كما يقول الملحدون أننا لا نستطيع أن ندرك الله بالعقل) فقال:* لا تدركه العقول الإنسانية بمجرد قوتها ولا يمكن أن يكون أي برهان عقلي دليلا قاطعا على وجوده تعالى، لأن غاية مساعي العقل هي أن يقرر – بَعْدَ النظر في صنائع هذا الكون – ضرورة وجود صانع له. *(أي يمكن للعقل أن يقول على أكثر تقدير، نظرا إلى المخلوقات أن لها خالقا)* ولكن الشعور بالضرورة شيء، والوصول إلى درجة اليقين بأن الإله – الذي تقررت ضرورته عند العقل – موجود فعلا، شيء آخر تماما. *(أي أن الشعور بضرورة الله شيء، وهل هو موجود فعلا شيء آخر تماما)* وبما أن الدليل العقلي ناقص وغير مكتمل ومشكوك فيه وينقصه اليقين، لذلك لا يمكن لكل الفلاسفة أن يعرفوا الله معتمدين على العقل فقط. بل الحق أن معظم أولئك الذين يعتمدون على عقولهم فقط لمعرفة الله، يصبحون ملحدين دهريين في النهاية، ولا يغنيهم التفكّر في السماوات والأرض شيئا.

(هناك كثير من المفكرين والمتدبرين في الكون الذين يتأملون في الأرض وفي العلوم، وكثير منهم ملحدون أيضا كما نرى في العصر الراهن، فهم لا يستفيدون شيئا باستخدام العقل وحده)

إنهم يتخذون أولياء الله هزوا *(وتكون النتيجة أنهم يستهزئون بالذين يذكرون الله ويأتون من عند الله والذين هم على علاقة متينة مع الله)* متذرعين بأن في الدنيا ملايين الأشياء التي نجدها عبثا لا جدوى منها ولم تتحقق عقلاً حكمتها الدالة على الصانع، إنما هي باطلة لاغية. الأسف كل الأسف أن هؤلاء الجهلاء لا يعلمون أن عدم العلم بشيء لا يستلزم عدمه؛ *(لأن عقولهم لا تصل إلى هذه الدرجة فيقولون بأنه لا حاجة أن يكون هناك مَن خلقه، ولكن من المعلوم أن عدم العلم بشيء لا يستلزم عدم وجوده)* هناك مئات الألوف من أمثال هؤلاء الذين يزعمون أنفسهم عقلاء وفلاسفة من الدرجة الأولى، ولكنهم ينكرون وجود الله أشد الإنكار. *(وقد بلغ عددهم الملايين في العصر الراهن، فهناك كثير من الناس في العالم الذين تركوا الإيمان بالله بناء على هذه الأمور فقط، وإن مجال الروحانية يصبح فارغا يوما إثر يوم)* ومن البيّن أنهم لو وجدوا برهانا عقليا ناصعا على وجود الله لما أنكروه. وكذلك لو كانوا متمسكين ببرهان عقلي يقيني، لما كفروا بوجود الله بوقاحة كبيرة واستهزاء شديد.

(أي إذا وجدوا دليلا عقليا يقينيا فيه كفاية لإفحامهم لما استهزأوا بالله وما سخروا منه وما أنكروه كما يفعل معظم الناس اليوم)

وليس أحد ممن ركب سفينة الفلاسفة بناجٍ من طوفان الشبهات بل هو غارق حتما. *(أي لو قبِل المرء كلام الفلاسفة فقط، أو نظر إلى العلوم الظاهرية فحسب بعيدا عن الروحانية لنشأت في قلوبهم شبهات عن ذات الله ولا يستطيعون أن ينجوا منها ولن تتخلص منها قلوبهم)*

ولن يغترف من معين التوحيد الخالص غرفة. فانظروا، ما أبطل وما أفظعَ الزعمَ القائل بأنه يمكن الوصول إلى التوحيد دون وسيلة سيدنا ومولانا محمد ρ وأنه يمكن أن ينال المرء النجاة بغيره ρ!

(أي أن التوحيد لا يتسنى ما لم تتيسر وسيلة روحانية، وتلك الوسيلة الروحانية هي شخص النبي ρ)

فيا قليلي الفهم، كيف يمكنكم الإيقان بتوحيد الله ما لم توقنوا بوجود الله حق الإيقان؟ فتيقنوا أن التوحيد اليقيني لا يتأتّى إلا باتباع نبينا محمد ρ. فإننا نرى أنه ρ قد جعل العرب الملحدين والمنحرفين يؤمنون بوجود الله بإراءتهم ألوف الآيات البينات، وأن أتباعه الصادقين الكاملين كانوا ولا يزالون يُتِمّون الحجة على الملحدين بتلك الآيات المعجزة. الحق والحق أقول إن الشيطان لا يغادر قلب الإنسان ولا يدخله التوحيدُ الصادق ولا يوقن أحد بالله ما لم يشاهد القدرات الحية لله الحي، وإن ذلك التوحيد الطاهر والكامل إنما يُنال باتباع نبينا محمد ρ وحده."

ثم يقول المسيح الموعود υ بكل ألم وحرقة عن اليقين بوجود الله تعالى، ذلك اليقين يوجه الإنسان إلى الله تعالى وحده في كل أمر:

" إن في إلهنا عجائب لا تُعَدُّ ولا تحصى، ولكن لا يراها إلا الذين صاروا له بصدق ووفاء. إنه تعالى لا يُظهر تلك العجائب على الأغيار الذين لا يوقنون بقدراته ولا هم من أوفيائه الصادقين. شقيٌّ مَن لا يعلم بعدُ أن له إلهًا واحدًا قادرًا على كل شيء!

إنّ فردوسنا إلهنا، وإنّ أعظمَ ملذّاتِنا في ربّنا، لأننا رأيناه ووجَدْنا فيه الحسنَ كله. هذا الكنز لجديرٌ بالاقتناء ولو افتدى الإنسانُ به حياتَه، وهذه الجوهرة لحَرِيّةٌ بالشراء ولو ضحّى الإنسان في طلبها كلَّ وجوده. أيها المحرومون، هلُمّوا سِراعًا إلى هذا الينبوع ليروي عطشكم. إنه ينبوع الحياة الذي ينقذكم. ماذا أفعل وكيف أُقِرُّ هذه البشارة في القلوب؟ وبأيّ دفٍّ أنادي في الأسواق بأنّ هذا هو إلهكم حتى يسمع الناس؟ وبأيّ دواء أعالج حتى تنفتح للسمع آذانُ الناس؟"

ندعو الله تعالى أن يوفقنا لتبليغ دعوة هذا الإله الحيّ إلى العالم كله في اتباع إمام العصر والمحب الصادق للنبي ρ، ويوفقنا أيضا أن نُشعِر العالم كله أن ذلك الإله الحي موجود في الحقيقة ويسمع الآن أيضا ويُري آياته، فارجعوا إليه، وتعالوا إليه. ندعو الله تعالى أن يوفقنا نحن أيضا أن نتمكّن من خلق العلاقة الحيّة بالله تعالى ونعمل بتعليمه، ونؤدي حق عبادته وندرك صفاته إدراكا صحيحا فنرث إنعاماته وأن نجتنب نحن وذرياتنا أيضا الشرك إلى الأبد.